الشريد

لحضرة صاحب العزة الشاعر الكبير على الجارم بك

أطلت الآلام من جحره ... ولفت الأسقام فى طمره
بردته الليل على برده ... وكنه القيظ على حره
مشرد يأوى إلى همه ... إذا أوى الطير إلى وكره
ما ذاق حلو اللثم فى خدّه ... ولا حنان المس فى شعره
ولا جوته الأم فى صدرها ... ولا أب ناغاه فى حجره
قد صبر النفس على ما بها ... وانتظر الموعود من صبره

البطن مهضوم طواه الطوى ... ونام أهل الأرض عن نشره
والوجه لليأس به نظرة ... يقذفها الحقد على دهره
جرحه الدهر فمن نابه ... تلك الأخاديد ومن ظفره
قد كتب الله على خدّه ... خطا بين البؤس فى سطره
وغار ضوء الحس من عينه ... وفر لمح الأنس من ثغره
والبشر، أين البشر ويحى له ... يا رحمة الله على بشره

يجر رجليه بطىء الخطا ... كالجمل المكدود من جره
إن نام أبصرت به كتلة ... تجمع ساقيه إلى نحره
احتبست "أواه" فى قلبه ... واختنقت "ويلاه" فى صدره
وجف ماء العين فى موقها ... ماذا أفاد العين من همره

سالت به نهرا على لقمة فعاد كالسائل فى نهره
لا يجد المأوى ولو رامه أحاله الدهر على قبره
هناك يثوى هادئا آمنا من شفف العيش ومن وعره
فكم بصدر القبر من ضجعة أحنى من الدهر ومن نكره
متعبة الانسان فى حسه وشقوة الانسان من فكره
كيف يرجى الصفو من كائن الحما المسنون فى ذره
لم يسم للأملاك فى أوجها ولا هوى للوحش فى قفره
رام اللباب المحض من سعيه فلم ينل منه سوى قشره
يسعى وما يدرى إلى نفعه سعى حثيثا أم إلى ضره
آمنت بالله فكم عالم أعجزه المحجوب من سره
الله فى طفل غزاه الضنى بأدهم الخطب ومغبره
فى ظلمات موجها زاخر كأنه ذو النون فى بحره
والناس بالشاطئ من غافل أو ساخر أمعن فى سخره
والموج كالذؤبان حول الفتى يسد أذن الأفق من زأره
نادى وما نادى سوى مرة حتى طواه اليم فى غمره
تظنه طفلا فان حققت عيناك لم تعثر على عشره
كأنه الشك إذا ما مشى أو ما يرى النائم فى ذعره
طغى به الجوع فنى دمعه ما نعل الجوع وفى نبره
واها لكف لصقت بالثرى وائتدمت بالبؤس من عفره
ماذا على الاحسان اوردها ندية الأطراف من بره
ماذا على الإحسان لو ردها رطيبة الألسن من شكره
كم بسمة أرسلها محسن أزهى من الروض ومن زهره
ولقمة سدت فما جائعا رجحت الميزان فى حشره
ومنة كانت جناحا له طار به الذائع من ذكره
ودمعة يذرفها مشفقا أصفى من المذخور من دره
لا تزهر الجنة الا بما يسفحه الباكى على وزره

لو عرف الانسان ما أجره ... ما ضن بالنفس على اجره
يبقى قليل الحمد من بعده ... ويذهب المال على كثره
بيض أيادى المرء فى قومه ... أغلى من البيض ومن صفره
والحر لا ينعم فى وفره ... حتى ينال الناس من وفره
والمرء لا يعرف مقداره ... أو تنبئ الأحداث عن قدره
والناس كالماء فمن ضحضح ... ومن عميق حرت فى سبره
ليس الذى ينفق من يسره ... مثل الذى ينفق من عسره
كم درهم ألقى فى سجنه ... ولم ينل عفوا مدى عمره
لم ير حسن الصبح فى شمسه ... ولا جمال الليل فى بدره
يطمع وخز الجوع فى وصله ... ويرسل الزفرات من هجره
والمال كالخمر اذا ما طغى ... ضاقت بجاج الأرض عن شره
متى يهب العقل من نومه ... أو يستفيق المال من سكره
متى أرى النفس وقد أطلقت ... من ربقة المال ومن أسره
متى أرى الحب كضوء الضحى ... كل امرئ يسبح فى طهره
متى أرى الناس وقد نزهوا ... عن شره الذئب وعن غدره
أخوة الغصن الى صنوه ... وبسمة الزهر الى قطره
ورحمة رفافة لم تدع ... قلبا يوارى النار فى صخره
لا يحسد الجاه على ماله ... أو ينهر البؤس على فقره
كم شارد فى مصر يا كثره ... من عدد يسخر من حصره
ذخيرة الأمة أبناؤها ... ماذا أفاد النيل من ذخره
ماذا أفاد النيل من ساعد ... أسرع من ضغث الى كسره
وأرجل أودن من همسة ... ومن نسيم الصبح فى مره
ومن فتاة بخرها ليلها ... ومن غلام ضل فى بحره
ألقته مصر هملا ضائعا ... فصال يبغى الثأر من مصره
غاص من الآثام فى آسن ... يكرع ملء الفم من مره
أسرى من الليل وأمضى يدا ... من عبث الليل ومن مكره

كم ضاق من شقوته عصره ... وضاق بالسخط على عصره
شجا بحلق الوطن المفتدى ... وشوكة كالنصل فى ظهره
مدرسة النشل وسل المدى ... أسسها الشيطان فى جحره
إذا هوى الخلق وضاع الحجا ... فكل شىء ضاع فى إثره
من يصلح الأسرة يصلح بها ... ما دهر الافساد فى قطره
جناية الوالد نبذ ابنه ... فى عسره إن كان أو يسره
لا تترك الذئبة أجراءها ... ولا يغيب الكلب عن وجره
البيت صحراء إذا لم تجد ... طفولة تمرح فى كسره
فعاقبوا الآباء إن قصروا ... لابد للسادر من زجره
وانقذوا الطفل فما ذنبه ... إن جمح الوالد فى خسره
ربوه ينمو ثمرا طيبا ... لا ييأس الزارع من بذره
وعلموه عملا صالحا ... يشد إن كاف من أزره
ربوه فى الريف لعل القرى ... تصلح ما افسد من أمره
النفس مرآة وغصن النقا ... يطيب أو يخبث من جذره
لعل همس الغصن فى أذنه ... ينسيه ما أضمر من ثاره
لعل أنفاس نسيم الربا ... فى صدره تبرد من جمره
النيل يستنجد مستصرخا ... فأسرعوا الخطو إلى نصره
لا يذهب المعروف فى لجة ... ولا يكف المسك عن نشره